على أن الراسخين في العلم يعلمون تفسير المتشابه فإن المتشابه قد يكون في آيات الأمر
والنهي كما يكون في آيات الخبر وتلك مما اتفق العلماء على معرفة الراسخين لمعناها فكذلك
الآخر فإنه على قول النفاة لم يعلم معنى المتشابه إلا الله لا ملك ولا رسول ولا عالم و
هذا خلاف إجماع المسلمين في متشابه الأمر والنهي وأيضا فلفظ التأويل
يكون للمحكم كما يكون للمتشابه كما دل القرآن والسنة وأقوال الصحابة على ذلك وهم
يعلمون معنى المحكم فكذلك معنى المتشابه وأي فضيلة في المتشابه حتى ينفرد الله بعلم
معناه والمحكم أفضل منه وقد بين معناه لعباده فأي فضيلة في المتشابه حتى
يستأثر الله بعلم معناه وما استأثر الله بعلمه كوقت الساعة لم ينزل به خطابا
ولم يذكر في القرآن آية تدل على وقت الساعة ونحن نعلم أن الله استأثر بأشياء لم يطلع
عباده عليها وإنما النزاع في كلام أنزله وأخبر أنه هدى وبيان وشفاء وأمر بتدبره
ثم يقال إن منه ما لا يعرف معناه إلا الله ولم يبين الله ورسوله ذلك القدر الذي لا
يعرف أحد معناه ولهذا صار كل من أعرض عن آيات لا يؤمن بمعناها جعلها
من المتشابه بمجرد دعواه ثم سبب نزول الآية قصة أهل نجران وقد احتجوا بقوله
إنا نحن وبقوله كلمة منه وروح منه وهذا قد اتفق المسلمون على معرفتهم معناها فكيف
يقال إن المتشابه لا يعرف معناه لا الملائكة ولا الأنبياء ولا أحد من السلف وهو من
كلام الله الذي أنزله إلينا وأمرنا أن نتدبره ونعقله وأخبر أنه بيان وهدى
وشفاء ونور وليس المراد من الكلام إلا معانيه ولولا المعنى لم يجز التكلم بلفظ لا
معنى له وقد قال الحسن ما أنزل الله آية إلا وهو يحب أن يعلم فيما ذا أنزلت
وما ذا عني بها ومن قال إن سبب نزول الآية سؤال اليهود عن حروف المعجم في
الم بحساب الجمل فهذا نقل باطل أما أولا فلأنه من رواية الكلبي وأما ثانيا فهذا
قد قيل إنهم قالوه في أول مقدم النبي صلى الله عليه وسلم من المدينة وسورة آل عمران
إنما نزل صدرها متأخرا لما قدم وفد نجران بالنقل المستفيض المتواتر وفيها
فرض الحج وإنما فرض سنة تسع أو عشر لم يفرض في أول الهجرة باتفاق المسلمين و
أما ثالثا فلأن حروف المعجم ودلالة الحرف على بقاء هذه الأمة ليس هو من تأويل
القرآن الذي استأثر الله بعلمه بل إما أن يقال إنه ليس مما أراده الله بكلامه

هذه الاية

ولا

٤

ولا قال إن أمرنا بعلمه بل دعوى دلالة الحروف على ذلك باطل وأما أن يقال بل يدل عليه
وقد علم بعض الناس ما يدل عليه وحينئذ فقد علم الناس ذلك أما دعوى دلالة
القرآن على ذلك وأن أحدا لا يعلمه فهذا هو الباطل وأيضا فإذا كانت الأمور العلمية التي أخبر
الله بها في القرآن لا يعرفها الرسول كان هذا من أعظم قدح الملحدين فيه وكان هذا حجة
لما يقولونه من أنه كان لا يعرف الأمور العلمية أو أنه كان يعرفها ولم يبينها بل هذا القول
يقتضي أنه لم يكن يعلمها فإن ما لا يعلمه إلا الله لا يعلمه النبي صلى الله عليه وسلم ولا غيره
وبالجملة فالدلائل الكثيرة توجب القطع ببطلان قول من يقول إن في القرآن
آيات لا يعلم معناها الرسول ولا غيره نعم قد يكون في القرآن آيات لا يعلم معناها
كثير من العلماء فضلا عن غيرهم وليس ذلك في آيات معينة بل قد يشكل على هذا ما
يعرفه هذا وذلك تارة يكون لغرابة اللفظ وتارة لاشتباه المعنى بغيره وتارة
لشبهة في نفس الإنسان تمنعه من معرفة الحق وتارة لعدم التدبر التام وتارة لغير
ذلك من الأسباب فيجب القطع بأن قوله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في
العلم يقولون آمنا به أن الصواب قول من جعله معطوفا وجعل الواو للعطف
المفرد على مفرد ويكون كلا القولين حقا وهي قراءتان والتأويل المنفي غير التأويل
المثبت وإن الصواب هو قول من جعلها واو استئناف فيكون التأويل المنفي
علمه عن غير الله هو الكيفيات التي لا يعلمها غيره وهذا فيه نظر وابن عباس جاء عنه
أنه قال أنا من الراسخين الذين يعلمون تأويله وجاء عنه أن الراسخين لا يعلمون
تأويله وجاء عنه أنه قال التفسير على أربعة أوجه تفسير تعرفه العرب من
كلامها وتفسير لا يعذر أحد بجهالته وتفسير يعلمه العلماء وتفسير لا يعلمه
إلا الله ومن ادعى علمه فهو كاذب وهذا القول يجمع القولين ويبين أن العلماء
يعلمون من تفسيره ما لا يعلمه غيرهم وأن فيه ما لا يعلمه إلا الله فأما من جعل
الصواب قول من جعل الوقف عند قوله إلا الله وجعل التأويل بمعنى التفسير
فهذا خطأ قطعا وأما التأويل بمعنى الثالث وهو صرف اللفظ عن الاحتمال
الراجح إلى الاحتمال المرجوح فهذا الاصطلاح لم يكن عرف بعد عرف في وقت الصحابة
ولا التابعين بل ولا الأئمة الأربعة ولا كان التكلم بهذا الاصطلاح معروفا

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)